# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(أعمال الرسل ١: ١–٨)

إني قد أنشأتُ الكلامَ الأوَّلَ يا ثاوُفيلُسُ في جميعِ الأمورِ التي ابتدأَ يسوعُ يعمَلُها ويعلِّمُ بها* إلى اليوم الذي صعِدَ فيهِ من بعدِ أن أوصى بالروحِ القُدُسِ الرُّسلَ الذينَ اصطفاهُم* الذين أراهمُ أيضًا نفسَهُ حيًّا بعد تألُّمِهِ ببراهينَ كثيرةٍ وهو يتراءَى لهم مدَّةَ أربعينَ يومًا ويُكلِّمُهم بما يختصُّ بملكوتِ اللهِ* وفيما هو مجتمِعٌ معَهُم أوصاهُم أنْ لا تَبرَحوا مِن أورشليمَ بل انتَظِروا موعِدَ الآبِ الذي سمِعتُموهُ مني* فإنَّ يوحنا عَمَّدَ بالماءِ وأمَّا أنتم فستُعمَّدون بالروحِ القدس لا بعدَ هذهِ الأيامِ بكثيرٍ* فسألَهُ المجتمعونَ قائلينَ يا ربُّ أفي هذا الزمانِ تردُّ المُلْكَ إلى إسرائيل* فقال لهم ليسَ لكم أن تعرفوا الأزمنةَ أو الأوقاتَ التي جعلها الآبُ في سلطانه* لكنَّكم ستنالونَ قوَّةً بحلُولِ الروحِ القدسِ عليكم وتكونونَ لي شُهودًا في أورشليمَ وفي جميعِ

## الفصح المسيحي في العهد القديم

«وقال لهم (يسوع): هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعدُ معكم أنَّه لا بدَّ أن يتمَّ جميعُ ما هو مكتوبٌ عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذٍ فتح ذِهنهم ليفهموا الكتبَ» (لوقا ٢٤: ٤٤–٤٥).

ليلة الفصح، وفي خدمة سبت النور التي كانت قديماً تُقام ليلة السبت الأحد، نقرأ في القداس الإلهي خمس عشرة قراءة من العهد القديم تحمل في طياتها صورة الفصح المسيحي، الصلب والقيامة، الخلق الجديد الصائر بموت المسيح وقيامته من بين الأموات.

+ القراءة الأولى مأخوذة من سِفْر التكوين (١: ١–١٣) وتروي الأيام الثلاثة الأولى لخلق الكون. والقيامة هي إعادة خلق الكون بأسره، وعلى رأسه البشر، بها يلدنا الرب إلى يوم جديد وحياة جديدة نحياها مع الله في ملكوته.

+ صورة موت المسيح ونزوله إلى الجحيم وقيامته يبرزها سفر يونان النبي الذي نتلوه بجملته (القراءة الرابعة). فكما قضى يونان ثلاثة أيام في جوف الحوت، هكذا قضى السيد ثلاثة أيام في جوف الأرض. ما نرتله صباح عيد الفصح هو أفضل تعبير عن هذه الصورة: «أيها المسيح، لقد نزلت إلى أسافل دركات الأرض فسحقت الامخال الدهرية المثبتة، الضابطة المعتقلين، وفي اليوم الثالث برزت ناهضاً من القبر كما برز يونان من الحوت»(الأودية السادسة). قصة يونان مع أهل نينوى الوثنيين تشير إلى أن الخلاص الذي أعطاه الرب يسوع هو لكل البشر وليس لشعب واحد.

+ صورة نزول السيد إلى الجحيم وقيامته نراها في القراءة الخامسة عشرة (دانيال ٣: ١–٨٨) حيث الحديث عن الفتية الثلاثة الذين رفضوا أمر ملك الكلدانيين بالسجود للتمثال المذهَّب فأمر الملك بأن يُرموا في أتون النار، لكنهم خرجوا سالمين بقدرة يمين الرب العزيزة: «إن الذي أنقذ الفتية من الأتون لما صار إنساناً، تألم كمائت، وبآلامه سربل المائت جمال عدم الفساد، أعني به إله آبائنا المبارك والممجَّد وحده»(سَحَر الفصح، الأودية السابعة).

+ القيامة هي انتقال من الموت إلى الحياة، من العبودية للشرير إلى

**العدد ٢٠٠٤/١٥**

**الأحد ١١ نيسان**

**الفصح المقدس**

**المسيح قام ... حقاً قام**

اليهوديَّةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرض.

## الإنجيل

(يوحنا ١: ١–١٧)

في البدءِ كان الكلمةُ والكلمةُ كان عند الله وإلهًا كان الكلمة٭ هذا كان في البدءِ عند الله٭ كلٌّ بهِ كان، وبغيرهِ لم يكن شيءٌ مما كُوِّن٭ بهِ كانتِ الحياة والحياةُ كانت نورَ الناس٭ والنورُ في الظلمةِ يُضيءُ والظلمةُ لم تدركْهُ٭ كان إنسانٌ مُرْسَلٌ من الله اسمُهُ يوحنا٭ هذا جاءَ للشهادة ليشهدَ للنور. لكي يؤمنَ الكلُّ بواسِطتهِ٭ لم يكنْ هو النور بل كان ليشهدَ للنور٭ كان النورُ الحقيقيُّ الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ آتٍ إلى العالم٭ في العالمِ كان والعالمُ بهِ كُوِّنَ والعالمُ لم يعرفْهُ٭ إلى خاصَّتهِ أتى وخاصّتُه لم تَقبَلْهُ٭ فأمَّا كلُّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يكونوا أولادًا لله الذين يؤمنون باسمِه٭ الذين لا من دمٍ ولا من مشيئةِ لحمٍ ولا من مشيئةِ رجلٍ لكنْ منَ الله وُلدوا٭ والكلمةُ صار جسدًا وحلَّ فينا (وقد أبصرْنا مجدَهُ مجدَ وحيدٍ من الآب) مملوءًا نِعمةً وحقًّا٭ ويوحنا شهِدَ لهُ وصرخ قائلاً هذا هو الذي قلتُ عنهُ إن الذي يأتي بعدي صار قبلي لأنَّهُ مُتَقَدِّمي٭ ومن مِلئهِ نحن كُلُّنا أخذنا ونعمةً عوضَ

الحرية بالله. هذا ما نقرأه في القراءة السادسة (خروج ١٣:٢٠–١٩:١٥) التي تروي كيف عبر الشعب العبراني البحر الأحمر من مصر أرض العبودية إلى برية سيناء نحو أرض الميعاد، أرض الحرية بالله. هي صورة هزيمة الموت والشر متمثلة بهزيمة فرعون وفرسانه ومركباته وانتصار المتَّكلين على الرب الذين هم في الظاهر ضعفاء ولكنهم أقوياء بربهم. تنتهي قراءة الخروج بنشيد تسبحة موسى الشكرية (١٥:١–١٩). نرددها نحن أيضاً اليوم شاكرين الله على الخلاص الذي منحنا: «اليوم يوم القيامة فلنتلألأ أيها الشعوب لأن الفصح هو فصح الرب، وذلك لأن المسيح إلهنا قد أجازنا من الموت إلى الحياة، ومن الأرض إلى السماء، نحن المنشدين نشيد النصر والظفر» (سَحَر الأحد، الأودية الأولى).

+ الرب المصلوب بإرادته على الصليب هو الحمل الفصحي الذي ترمز إليه القراءة الثالثة (خروج ١٢: ١–١١)، حيث نقرأ الإرشادات التي يعطيها الرب لهارون والشعب حول ذبيحة الخروف الحولي غير المعاب الذي يجب أن يذبحوه ليلة فصحهم، أي ليلة خروجهم من أرض مصر، ويأكلوه دون أن يكسروا له عظم. أما القراءة العاشرة (تكوين ٢٢: ١–١٨) التي تروي تضحية ابرهيم بابنه إسحق، واستبدال إسحق بالكبش في اللحظة الأخيرة، فهي تصوِّر رمزياً المسيح الحمل الذي أتى لخلاص البشر. لقد حمل إسحق على كتفيه الأغصان للمحرقة، ولما سأل والده ابرهيم عن الحمل للمحرقة، أجابه والده «الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني» (تكوين ٨:٢٢). وكأن إسحق هو صورة لسمعان القيرواني الذي حمل الصليب الذي سيُذبح عليه الرب كما هو صورة البشرية التي افتداها المسيح. والرب يسوع هو الحمل الإلهي الذي رآه الله انه الأفضل لخلاص البشر. «ان المسيح الذي هو إكليل السنة المبارك منَّا قد ذبُح عن الكل باختياره كحمل حولي، فصحاً مُطهّراً، ثم أشرق لنا شمس العدل من القبر بهياً زاهياً» (سَحَر الأحد، الأودية الرابعة).

+ صورة المسيح الآتي لتجديد الحياة وتقديم نفسه غذاءً، والتغلب على الموت بقيامة تشمل الإنسانية كلها، تقدّمها لنا القراءتان الثامنة والثانية عشرة. الأولى (١ملوك ١٧: ٨–٢٤) تتحدث عن ذهاب إيليا النبي إلى أرملة صرفت صيدا واكثاره الطحين والزيت لها وإقامته ابنها من الموت. والثانية (٢ملوك ٤:٨–٣٧) تتحدث عن إعطاء أليشع المرأة الشنومية صبياً بصورة عجائبية، ثم إقامته لهذا الصبي بعد ان مرض فجأة ومات.

إضافة إلى هذه الصور هناك النبوءات الخاصة بالمسيح المنتظر. القراءة الثانية (اشعياء ٦١:١–١٦) والسابعة (صفنيا ٣:٨–١٥)، والتاسعة (اشعياء ٦١:١٠؛ ٦٢:٥) والحادية عشرة (اشعياء ٦١: ١–١٠)، والثالثة عشرة (اشعياء ٦٣:١٠؛ ٦٤:٥)، والرابعة عشرة (ارمياء ٣١: ٣١–٣٤). «ها أيامٌ تأتي يقول الربُّ وأقطعُ مع بيتِ إسرائيلَ ومع بيتِ يهوذا عهداً جديداً... بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيتِ إسرائيلَ بعدَ تلكَ الأيام يقول الربُّ. أجعلُ شريعتي في داخلِهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يُعلمون بعدُ كل واحدٍ صاحبه وكلُّ واحدٍ أخاه قائلين اعرفوا الربَّ لأنهُم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرَّبُّ. لأنّي أصفح عن

نـعـمـة* لأن الـنـامـوسَ بموسى أُعطي وأمَّا النعمةُ والـحـقُّ فـبـيسوعَ المسيحِ حصلا.

## تأمل

«الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا بعد تألمه ببراهين كثيرة وهو يتراءى لهم مدّة أربعين يوماً ويكلّمهم بما يختص بملكوت الله» (أع ١:٣).

تكلّم في الآية السابقة عن الصعود («ارتفع»). هنا يتكلّم عن القيامة («حيًّا»). هذا حتى لا يعتقد أحد أن هناك من رفعه بل هو صعد بقدرته الذاتية إن كان قد أظهر قدرته في الأمور الكبيرة (القيامة) كيف لا يظهرها في الأمور الأصغر (الصعود). لاحظ، من خلال العبارة «يتراءى لهم أربعين يوماً»، كيف أنه يبذر فيهم العقائد الكبيرة. لم يكن ظهوره بعد القيامة كما كان قبلها حين كان عائشاً معهم على الدوام بل كان يظهر لهم بعد القيامة من حين إلى آخر خلال فترة الأربعين يوماً. كان يرفع ذهنهم شيئاً فشيئاً حتى لا يتصرّفوا كما من قبل. لم يكتفِ بذلك بل كان يهيّئهم بدقّة لشيئين: أولاً القيامة: وثانياً الإيمان بأنه أرفع من مجرّد إنسان. لذلك يقول «براهين كثيرة...» وكثير منها حسّية وبشريّة تشير إلى القيامة

إثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعد» (ارمياء ٣١:٣١-٣٤). «قومي استنيري (يا أورشليم) لأنّه قد جاء نورك ومجدُ الربِّ أشرَقَ عليكِ» (اشعياء ٦٠:١)، «لذلك فانتظروني يقولُ الربُّ إلى يومِ أقومُ» (صفنيا ٣: ٨).

## عظة الفصح للقديس يوحنا الذهبي الفم

إنّ من خَبر خدمة الفصح مرّة تلو مرّة، لا بدّ وأن يشعر بنشوة خاصة وهو يصغي إلى الخطبة العظيمة للقدّيس يوحنا الذهبي الفم التي تُقرأ على مسامعنا صباح الفصح المجيد. ولا يعود هذا إلى مجرّد أن العظة تحفة أدبية نادرة من حيث نَفَسِها الخطابي وقدرتها التعبيرية. فهي تلاصق الوجدان عبر ما يهيمن عليها من جو الفرح الذي لا تغشاه شائبة ويكاد لا يلجمه عنان. فعيد الأعياد وموسم المواسم، بالنسبة إلى مؤلّف العظة، مناسبة لا تحتمل الحزن. لذا، الكلّ مدعو إلى أن يشارك في الفرح بقيامة الرب وأن يعيّد: «أيها الأغنياء والفقراء اطربوا معاً». وكأنّي بالذهبي الفم يقول إنّ قيامة السيد لا تقيم مجتمعاً يتساوى الكل فيه بالثروة، ولكنّها تؤهّل البشر، إذا هم احتكموا إلى القيامة وعدّوها نبراس حياتهم، لأن يتجاوزوا الفروقات الاجتماعية التي تفصلهم ليلتقوا معاً عند القبر الفارغ. هذا الحضّ على الفرح يصعّده صاحب العظة إلى درجة أنّه يستحث حتى الذين لم يصوموا، أن يكرّموا الفصح: «صمتم أم لم تصوموا، أكرموا هذا النهار». ويتحقق هذا الإكرام عبر الاشتراك في الوليمة: «المائدة ملآنة، فتنعّموا جميعكم. العجل سمين، فلا يخرج أحد جائعاً». صورة المائدة مألوفة في العهد الجديد. فالوالد في مَثَل الابن الشاطر يوصي بذبح العجل المسمّن إكراماً لابنه العائد (لو ١٥: ٢٣). وكثر من الناس يأتون من المشارق والمغارب ليتّكئوا إلى مائدة الملكوت مع ابرهيم وإسحق ويعقوب (لو ١٣: ٢٨-٢٩). وقد ربط واضعو الليتورجيا على نحو واضح بين المائدة وسرّ الشكر بترتيبهم أن تُقرأ هذه العظة قبل المناولة. فالطريقة المثلى لتعييد الفصح هي الاشتراك مع الإخوة في المائدة المقدّسة التي تسبق مائدة آخر الأزمنة.

تبلغ هذه العظة ذروتها في قسمها الثاني، عندما يبيّن صاحبها على نحو تصويري رائع كيفيَّة انتصار السيد على الموت. نحن، في العادة، نختبر الموت بوصفه ذهاب النَفس من الإنسان فيغدو الجسد بارداً بلا حراك. بيد أنّ كاتب العظة يلجأ هنا إلى المفهوم اليهوديّ الذي كان يعتبر أنّ النفوس، بعد مفارقتها الأجساد، تجتمع في مكان يُدعى الجحيم منتظرة القيامة العامّة. وتُصوِّر الجحيم في العظة لا بكونها مجرّد مكان محايد، بل بوصفها عدو المسيح اللدود لأنّها رغبت في أن تبتلع السيّد، كما ابتلعت نفوس الموتى الآخرين قبله. لكنّ يسوع، الإله والإنسان معاً، خدع الجحيم. فهي تلقّفته بوصفه إنساناً عادياً ولم تفطن إلى أنّ هذا الجسد المائت متّحد بالألوهة اتحاداً لا تنفصم عراه: «تناولت جسداً، فصادفت إلهاً. تناولت أرضاً، فصادفت سماء». فولوج الإله بوّابة الجحيم أباد الجحيم. لقد قضى الإله على الموت باقتحامه مملكة الموت. هذا يُستدل منه على أنّ قيامة يسوع، أي مغادرته القبر فارغاً، إنّما كانت التعبير المنظور عن الانتصار الفعليّ على الموت الذي حقّقه يسوع عندما

بالرغم من بالرغم من تناقض الطرفين الظاهريّ.

لماذا لم يظهر للجميع بل فقط للرسل؟ لأن كثيرين ممّن لا يعرفون السرّ سوف يظنّونه خيالاً. التلاميذ نفسهم في البداية شكّوا واضطرّوا إلى أن يلمسوه ويجلسوا معه على المائدة. فماذا عن الآخرين؟ لذلك يُظهر القيامة من خلال العجائب. ما حصل من عجائب للرسل عن طريق المعاينة سوف يظهر للباقين فيما بعد عن طريق الإيمان. لو بقي ميتاً ولم يقم، كيف كان باستطاعة الرسل أن يبشّروا باسمه ويعملوا العجائب باسمه؟

لذلك بقي أربعين يوماً يعطي فرصة للتلاميذ لكي يتأكّدوا من حضوره «حيًّا» لا خيالاً، وقد أكل معهم على المائدة بعد القيامة. «لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات» (أع ١٠:٤١).

ماذا كان يفعل للتلاميذ حين ظهوراته؟ كان: «يتكلّم عن الأمور المختصّة بملكوت الله» (أعمال ١: ٣).

كان التلاميذ قبلاً غارقين في الأحداث الحاصلة، فأخذ يُهيّئهم لاقتبال الأمور والحوادث المستقبلة، الجهادات الكبيرة التي تنتظرهم.

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

كان جسده مسجى بعد في القبر. التراث المسيحي رأى أن دخول الإله ـ الإنسان عتبة الموت هو ما يفتتح فعلياً الانتصار على الموت. فالموت يتقهقر ويندرس ما إن يدركه الإله، كالظلام يتبخّر ما إن يشعّ النور. من الواضح أنّ هذا السرّ العظيم (أي كيف أعتق يسوع بالموت، من الموت، الطبيعة البشريّة التي اتّخذها) لا يمكن التعبير عنه فلسفيًّا، بل باستخدام الصور والرموز. وهذا بالضبط ما قام به كاتب العظة مفصحاً عن مفاعيل قيامة السيّد عبر إمعانه في وصف ردّ فعل الجحيم عندما صعقها السيّد بحلوله، إلهاً، فجأةً في عقر دارها.

بيد أنّ هذه العظة تثير تساؤلاً لا مناص من التصدّي له. إذا كان الذهبي الفم يحضّ هنا الكلّ على التمتّع بخيرات القيامة بقطع النظر عمّا إذا كانوا صاموا أم لا، فما نفع الصوم الذي يسبق عيد الفصح؟ الجواب قائم في مَثَل العَمَلَة الذي يستخدمه كاتب العظة. هذا المَثَل الوارد في إنجيل متى (٢٠:١-١٦) يبيّن كيف أنّ السيّد أعطى الفعلة الذين استقدمهم في ساعات متأخرة من النهار للعمل في كرمه الأجرة ذاتها التي اتّفق مع عمّال الساعة الأولى أن ينالوها، أي ديناراً واحداً. القضيّة ليست مرتبطة، إذاً، بمدى استحقاق العملة المتأخرين الدينار الذي حصلوا عليه. فهم في أيّ حال اشتغلوا أقلّ من الذين أتوا باكراً واتّفقوا مع السيّد على دينار واحد. المسألة هي كرم السيّد، في ذلك اليوم، غير المشروط بنوع العمل الذي قدّمه الفعلة أو بمدته. ما الذي يميّز العمّال الذين أتوا في الساعة الأولى إذاً؟ من حيث الأجرة، لا شيء طبعاً، فالمَثَل واضح. غير أنّ مثل هؤلاء العمّال ضمنوا، منذ الصباح الباكر، أجرة النهار، فيما بقي العمّال الذين استُقدموا لاحقاً في حيرة مدّة أطول، لا يعرفون ما إذا كانوا سيحظون بمن يستأجرهم للعمل وما إذا كان يومهم سينتهي على شبع أم جوع. كما أنّ العمّال الذين استأجرهم ربّ الكرم في الصباح الباكر كانت لهم، بطبيعة الحال، فرصة أطول ليُظهروا له نوعيّة عملهم، وتالياً حظوظ أكبر في أن يستخدمهم في اليوم التالي. إذاً بحسب النموذج الذي تضعه عظة الذهبي الفم نصب أعيننا، من واكب المسيرة إلى الفصح بالصوم من البدء لن ينال بالضرورة أجرةً أكبر بالمعنى الحسيّ. فالسيّد يحقّ له، إذا شاء، أن يغدق على الأوّلين والآخرين العطايا ذاتها. ولكنّ أجره «المضاعف»، إذا جاز التعبير، يكمن لا في فرحه المتعاظم يوماً بعد يوم بما ينتظره في نهاية زمن الصوم فحسب، بل بقربه من السيد أيضاً طوال الصوم الأربعيني المقدّس، وذلك بخلاف من لم يحسم أمره حيال الصوم. ولعلّ الملاحظة هذه تنطبق على الحياة المسيحيَّة بأسرها بحيث تضحي الحقبة الصياميَّة رمزاً لها. فمعنى هذه الحياة لا تستغرقه الحلّة البهيَّة التي يخلعها عليك السيّد في اليوم الأخير، بل وجودك إلى جانبه، فرحك به يوماً بعد يوم، واستعدادك أن تظهر له منذ الآن أنّك عامل يتّصف بنوعيّة عمله الجيّدة. فإذا هتفنا اليوم مع عظة الذهبي الفم كيف تمرمرت الجحيم وقام المسيح، ندرك أنّ هذه القيامة ليست مجرّد انفعال ببهاء الطقوس، بل قرب من الربّ وعمل دؤوب في حقله.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**